

قصة آية

8

الضحية والفداء

والله اعلم بالصواب
والله اعلم بالصواب

المكتبة الإسلامية الحديثة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

النضحية والفداء

قال (تعالى) :

﴿ وَمِمَّنَ الْفَائِسِينَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَتَيْكَاءَ مَرَضَاتٍ
أَلَّهُهُ وَأَلَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

[البقرة : ٢٠٧]

بعد أن اشتدَّ إيذاء الكفار للرسول ﷺ
والمسلمين بمكة ، قرَّر الرسول ﷺ الهجرة
إلى المدينة المنورة هو وأصحابه ، عسى أن
يجد فيها المكان المناسب لنشر الإسلام ،
والمأوى لأصحابه من اضطهاد المشركين لهم .

وكان من المقرر أن يهاجر الرسول ﷺ
بصحبة أبي بكر الصديق وصهيب بن سنان

ولكن حالت الظروف دون تمكن صهيب من
مصاحبة الرسول ﷺ .

وذهب الرسول ﷺ متخفياً إلى بيت أبي بكر
الصديق في وقت الظهيرة حتى لا يعترض أحد
من أهل مكة طريقه ، فقد كانوا ينامون وقت
الظهيرة بسبب شدة الحرارة .

وما إن رأى الرسول ﷺ أحد أبناء أبي بكر
حتى قال لأبيه :

- هذا رسول الله ﷺ جاء متخفياً ، وما أراه
جاء في هذه الساعة إلا لأمر مهم .

فنهض أبو بكر من مكانه وهو يقول :

- فداه أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه
الساعة إلا أمر .

وَدَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ ، وَسَلَّمَ عَلَى الْحَاضِرِينَ ،
ثُمَّ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ :

— اَخْرُجْ مِنْ عِنْدِكَ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ :

— إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا أَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

— فَإِنِّي قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ .

فَتَهَلَّلَ وَجْهَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَقَفَزَتِ الْفَرَحَةَ

مِنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ وَهُوَ لَا يَكَادُ يُصَدِّقُ مَا يَسْمَعُ :

— الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

— نَعَمْ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- فَخَذَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحَتَيْ .

فَقَالَ ﷺ :

- بِالْثَمَنِ .

وَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ الرَّاحِلَتَيْنِ ، وَأَنْطَلَقَ
بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ ﷺ مُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَتَعَرَّضَا لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْمَشَقَّةِ فِي
طَرِيقِ الْهَجْرَةِ حَتَّى وَصَلَا سَالِمِينَ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ
إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَسَطَ مَظَاهِرِ اخْتِفَالِ كَبِيرَةٍ
وَفَرَحَةٍ غَامِرَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .
وَلَمْ يَنْسَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ صَاحِبَهُمَا

صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الَّذِي مَنَعَهُ ظُرُوفُ قَاهِرَةٍ مِنَ
الْإِلْحَاقِ بِهِمَا ، فَدَعَا لَهُ بِالسَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ .

فَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ صُهَيْبٌ مُتَجِهَاً إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي حَدَّثَهُ الرَّسُولُ ﷺ لِلْقَاءِ ، لَحِقَ بِهِ كُفَّارٌ
مَكَّةَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ .

وَكَانَ صُهَيْبٌ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِتْقَانًا لِلْمُبَارَاةِ
وَالرَّمْيِ بِالرَّمْحِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكِينَ يُحِيطُونَ
بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَنَشَرَ مَا فِي كِنَانَتِهِ
وَأَخَذَ قَوْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

— يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ..

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَائِكُمْ رَجُلًا ..

وَأَيْمُ اللَّهِ لَا تَصْلُونَنِي حَتَّى أُرْمِيَ بِكُلِّ سَهْمٍ
مَعِيَ فِي كِنَانَتِي ، ثُمَّ أَضْرِبْكُمْ بِسَيْفِي حَتَّى لَا يَبْقَى

فِي يَدَيِّهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَأَقْدِمُوا إِن شِئْتُمْ ،
وَنَظَرَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى صُهَيْبٍ فَرَأَوْهُ كَالْأَسَدِ
الْهَائِجِ الَّذِي لَا تَرْقُفُهُ قُوَّةٌ وَلَا يَرْهَبُهُ شَيْءٌ ،
فَأَحْجَمُوا عَنِ التَّصَدَّى لَهُ أَوْ مُنَازَلَتِهِ فِي مَعْرَكَةٍ
هُمْ أَوَّلُ الْخَاسِرِينَ فِيهَا .

وَفَكَّرَ الْمُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ يَرْبِحُونَهُ مِنْ صُهَيْبٍ
وَيَنَالُونَهُ مِنْهُ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنِ النَّيْلِ مِنْهُ
فَقَالُوا :

— هَلْ تُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَكَ وَشَأْنَكَ كَيْ تَلْحَقَ

بِأَصْحَابِكَ ؟

فَقَالَ صُهَيْبٌ :

— نَعَمْ .

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ :

لَقَدْ جِئْنَا فَقِيرًا صُعْلُوكًا ، فَكَثُرَ مَالُكَ

عِنْدَنَا ، وَبَلَغْتَ بَيْنَنَا مَا بَلَغْتَ ، وَالْآنَ تَنْطَلِقُ

بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ ؟

فَقَالَ صُهَيْبٌ :

— وَإِنْ دَلَّلْتُكُمْ عَلَى مَالِي تَتْرَكُونِي وَشَأْنِي ؟

فَقَالُوا :

— وَمَا حَاجَتُنَا بِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِنْ دَلَّلْتَنَا عَلَى

مَالِكَ تَتْرَكُنَاكَ .

وَلَمْ يَكْذِبْ صُهَيْبٌ خَبْرًا ، فَدَلَّ الْمُشْرِكِينَ

عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَخْفَى فِيهِ ثَرْوَتَهُ ، فَصَرَكَوهُ

يَمْضِي إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ لَكِي

يَبْحَثُوا عَنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا سَتَعْوِضُهُمْ

عَنْ رَحِيلِ هَذَا الْبَطْلِ .

وَعَادَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مَكَّةَ ، وَذَهَبُوا إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي أَخْبَرَهُمْ بِهِ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ ، وَبَلَغَ جَهْدُ
وَجْدُوا الْمَالَ وَالثَّرْوَةَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي حَدَّه
صُهَيْبٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :
- لَقَدْ كُنَّا وَاثِقِينَ مِنْ صِدْقِ صُهَيْبٍ . فَمَا
جَرَّبْنَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ كَذِبًا أَوْ
خِيَانَةً .

وَتَقَاسَمَ الْمُشْرِكُونَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَاسْتَوْلَوْا
عَلَى دَارِ صُهَيْبٍ وَهُمْ يَقُولُونَ :
- نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذِهِ الْأَمْوَالَ وَالْدِّيَارِ مِنْ أَوْلَئِكَ
السُّفَهَاءِ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا .
وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ كَانَ صُهَيْبٌ يُعَانِي مَشَاقَّ
الرَّحْلَةِ وَطُولِ الطَّرِيقِ وَقِلَّةَ الزَّادِ ، تَلْفَحُهُ الشَّمْسُ

الْحَارِقَةُ ، وَتَذَرُو الرِّيحَ رَمَالِ الصَّحَرَاءِ عَلَى
 وَجْهِهِ وَفَوْقَ حَبِيبِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ وَجْهُهُ
 الْمُجْهَدُ لَا تَفَارِقُهُ الْإِبْتِسَامَةُ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ
 التَّفَاوُلُ وَالْأَمَلُ ، فَبَعْدَ وَقْتٍ طَالٍ أَوْ قَصُرٍ سَيَكُونُ
 بَيْنَ يَدَيِ حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى ﷺ ، وَسَيَسْعَدُ بِقُرْبِهِ
 مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ ، الَّذِينَ رَبَطَ الْحُبُّ بَيْنَهُمْ بِرِبَاطٍ
 قَوِيٍّ مَتِينٍ لَا تَقْطَعُهُ الْأَيَّامُ وَلَا تُذْيِبُهُ الْأَحْدَاثُ .
 وَهَاهُوَ ذَا يُطْلُ بِوَجْهِهِ الْجَمِيلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ الَّذِي كَانَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ .

وَمَا إِنْ رَأَاهُ الرَّسُولُ ﷺ قَادِمًا حَتَّى نَادَاهُ بِوَجْهِهِ
 مُتَهَلِّلٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ :

- رِبْعَ الْبَيْعِ أَبَا يَحْيَى .

رِبْعَ الْبَيْعِ أَبَا يَحْيَى .

فقام أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب
يهنئان صهيب بن سنان بشري الرسول ﷺ له
فقال له أبو بكر .

- ربح بيعك أبا يحيى .

وقال له عمر بن الخطاب كذلك .
فقال صهيب :

- وبيعك فلا يخسر . فماداك ؟

و شاء الله أن يكافئ هذا الصحابي الجليل
الذي ترك كل ما يملك مهاجراً في سبيل الله
فأنزل قوله (تعالى)

﴿ وَمِمَّنْ أَلْفَ مِنْ مِّنْ يُشْرِي نَفْسَهُ تَبَعًا مِّمَّا كَانَتْ
أُمَّةٌ لَّنَا قَدْ دُفِعَ لَدُنَّا عَنْهُمْ ﴾

[الفرقة ٢٠٧]

وَبَيْنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مَا فَعَلَهُ صُهِيبٌ
 بِنُ سَتَانٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ
 اللَّهِ ، فَقَدْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ (تعالى) وَتَرَكُوا دِيَارَهُمْ
 وَأَمْوَالَهُمْ طَمَعًا فِي رِضْوَانِ اللَّهِ (تعالى) ، وَاللَّهُ
 تَعَالَى الرَّءُوفُ بِعِبَادِهِ لَنَ يُصِيعَ أَعْمَالَهُمْ وَلَنَ
 يَحْرِمَهُمْ مِنْ قُرْبِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ ، فَكَمَا صَدَقَ هَؤُلَاءِ
 فِي إِيمَانِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ (تعالى) سَيَصْدُقُ فِيمَا وَعَدَهُمْ
 بِهِ مِنْ رَحْمَةٍ وَجَنَّاتٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
 أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .. وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ؟

قال (تعالى) :

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
 بِأَنَّ لَهُمُ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
 وَيُقْتَلُونَ وَنَعَدًا عَلَيْهِمْ فَأَوْفَى أَلَيْسَ الْبِرُّ بِالْجَبِينِ

وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِغَيْرِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

[التوبة : ١١١]

لَقَدْ كَانَ إِيمَانُ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -
بِرَبِّهِمْ إِيمَانًا حَقِيقِيًّا ، لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ كَلَامٍ يُقَالُ
مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ ، لَكِنَّهُ كَانَ وَاقِعًا حَيًّا يُجَسِّدُ
أَعْظَمَ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ نَحْوَ رَبِّهِمْ .
وَلِذَلِكَ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَحَابَتِهِ
- رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - :

« أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بَأَيْهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ » .
كَمَا قَالَ ﷺ :

« خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ
يَمِينُهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ » . [رواه البخاري]

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ مِنْ فَضْلِ سِوَى
نَشْرِ الْإِسْلَامِ فِي رُبُوعِ الْأَرْضِ وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى
قِيَمِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ ،
حَتَّى وَصَلْتَنَا كَامِلَةً صَحِيحَةً مَصُونَةً .. إِذَا لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ مِنْ فَضْلِ سِوَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَكْفِيهِمْ عِنْدَ
اللَّهِ (تَعَالَى) وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ .

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ وَاجِبَ الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُؤُلَاءِ
الصَّحَابَةَ وَأَنْ يَسْتَنْبِئَهُمْ ، لِأَنَّ رَابِطَةَ الْإِيمَانِ
يَجِبُ أَنْ تَكُونَ قَوِيَّةً ، وَلَوْلَا جُهُودُ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ
الْكَرَامِ وَجِهَادُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمَا وَصَلْنَا
الْإِسْلَامَ بِسُهُولَةٍ .

قَالَ (تَعَالَى) :

﴿وَالَّذِينَ نَبَّأُوا النَّذَارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذَا لَمْ يَنْجِ الْإِيمَانَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[الحشر : ٩٠، ٩١]

ولأجل كل ذلك يجب أن نقتدى بالرَّعيل
الأول من الصحابة الذين جاهدوا في سبيل الله
وبذلوا أرواحهم وأموالهم لله ، فهم القدوة
الحقة لا أن نقتدى بالمغنين أو المشاهير من

لَا عِيبَ الْكُورَةِ وَالْمُثَلِّينَ مِنْ أَشْبَاهِ الرُّجَالِ ..
فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ ..
إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالرُّجَالِ فَلَاحُ ..

رقم الإيداع : ١٧٥٥٧٧

التسجيل الدولي : ٧ - ٣٦٢ - ٢٦٦ - ٩٧٢